قصر أنطونيادس

للدكتور زكي مبارك

هو أنطونياذس ، بالذال لا بالدال ، فى النطق اليونانى ، ونحن ننطقه بالدال على أسلوبنا فى المراوحة بين هذين الحرفين ، كما نقول : دا ، فى مكان ذا ، وكما نقول : دى ، فى مكان ذى ، وكما نقول : خد ، فى مكان خذ ... وكان ذلك لأن الدال أخف فى النطق من الذال ، لا تحوجنا إلى بروز اللسان بين الأسنان .

أترك هذه الفائدة اللغوية لأواجه الموضوع فأقول :

كانت أيام الصيف الماضى أيام أعياد لقصر أنطونياذس ، فقد ورد اسمه مرات ومرات فى الجرائد المصرية والسورية والحجازية والعراقية ، إلى آخر ما هنالك من الجرائد التى تصدر باللسان العربى ، ثم ورد اسمه أيضاً مرات ومرات فى الجرائد التى تصدر بالفرنسية والإنجليزية والألمانية والإيطالية واليابانية والصينية ، إلى آخر ما هنالك من الألسنة التى يهتم أصحابها بالمشكلات الدولية

ونحن نعرف الأسباب التى جعلت لقصر أنطونياذس هذه المنزلة التاريخية ، فقد كان المكان المختار لمشاورات الوحدة العربية ، المشاورات التى اشترك فيها رجال يمثلون العراق والشام والحجاز ... ولو تمهلت الحوادث لاشترك فيها رجال يمثلون لبنان قبل أن ينتهى ذلك الموسم الجميل

وأنتم رأيتم الصُّور التى سجلت بعض المناظر لأولئك المتشاورين ، ففى الجانب المصرى يجلس رفعة النحاس باشا ومعالى الهلالى باشا وسعادة الأستاذ محمد بك صلاح الدين ، وفى الجانب العراق أو السورى أو الحجازى يجلس من اختارتهم أمتهم لتلك المشاورات ، ثم يكونون ضيوف الحكومة المصرية فى قصر أنطونياذس ، إلى أن تنتهى مهمتهم الرسمية

فما هو قصر أنطونياذس الذى شغل الجرائد والمجلات والإذاعات والبرقيات عدداً من الأسابيع فى الصيف الذى سلف ؟

أعترف بأنى ما كنت رأيت ذلك القصر من قبل ، فما كان يهمنى من الأسكندرية غير الشواطىء ، ولا كنت أتصور أن فيها مكاناً أبهج من محطة الرمل . عليها تحية الحب !

الصورة التاريخية هى التى دفعتنى إلى رؤية قصر أنطونياذس لأكتب عنه كلمة توضح بعض ملامحه لمن يجهل من أحواله ما كنت أجهل ، وما أكثر ما أجهل من أحوال بلادى !

منطقة شعرية

أخذت العربة طريقها بمحاذاة نادى سبورتنج ، ثم اتجهت شرقاً إلى ناحية خفق لها قلبى ، القلب الذى تذكر أنه زار تلك الناحية فى الليالى البواسم قبل أن تولول أبواق الحرب !

نعم ، هذا كازينو النزهة ، وهذى موسيقا الرقص فى ضحوات الآحاد ، بعد أن امتنع فيه الرقص بالليل

وتلك طيوف الماضى تعاودنى برفق أو بعنف ، فقد كان لى فى ذلك الكازينو ذكريات

متى تعود أيامى ؟ متى تعود ؟

من حق الأيام أن تنتقم منى ، فقد أكرهتها على أن تكون فى مذاقى رحيقاً فى رحيق ، وهى بلؤمها تريد أن تكون غسلينا فى غسلين

وهل استطاعت الحياة أن تنتقم منى ؟

وكيف وهى مثقلة بالديون لقلمى ؟

نحن نبتدع الحياة بأفكارنا وأحلامنا ، لنجد ما نصوره بأقلامنا ، فإن فكرت الحياة فى أن تمن علينا فلتتزجر ولترتدع فليس لها فى أعناقنا جميل ، وإنما نحن أصحاب الجميل

إن الإنسان خليفة الله فى الأرض ، ونحن لا نخترع هذا القول ، فقد جهر به القرآن المجيد ، فما مصير الحياة لو عاشت بلا أبناء ، ونحن وحدنا الأبناء الأصلاء ؟

إن خطيئة أبينا آدم كانت نعمة على هذه الأرض ، فما كان للأرض تاريخ قبل أن يهبط إليها من الفردوس ، وما صنع إلا لأنه مجموعة نفيسة من الآراء والأهواء ، والحقائق والأباطيل

بإرادة إلهية خلقناك خلقاً يا هيذه الأرض ، وصيرناك مؤتمرات سلام وميادين حروب

حديقة الورد

هى حديقة نموذجية تذكرنا بالجوانب الوردية من حديقة لكسمبورج فى باريس ، وقد حجمت الورود بسبب قسوة الشتاء

الآن عرفت ما لم أكن أعرف

عرفت أن البرد يؤذى أهل الرقة واللطف ، وينفع أهل القسوة والعنف

الآن عرفت كيف كان العرب يصفون المرأة الرقيقة بأنها « تؤوم الضحى » ، ومعنى ذلك أنها لا تستطيع الاستيقاظ فى برد الصباح ، لأنها فى رقة الورد ، والورد لا يستيقظ فى ساعات البرد

هل تذكرون حياة النمل ؟

إن النمال تكون من العاملة في الصيف ، ثم تأوى إلى مساكنها المطمورة فى الشتاء

ولا كذلك بنو آدم ، فقوتهم فى الشتاء لا فى الصيف ، ومن هنا جاءت فكرة « عيد الميلاد » ، وهى تعبير عن نزعة إنسانية قبل أن تكون تعبيراً عن نزعة مسيحية ، فما يعرف أحد بالضبط فى أى شهر ولد المسيح ، لأنه ولد قبل أن يلتفت الناس إلى تقييد المواليد

البرد هو الذى نفع روسيا فنصرها على نابليون ، وقد ينصرها على هتلر بعد حين .

وتأخر البرد فى هذه السنة آذى المزارع المصرية ببعض الإيذاء ، لأن فى الدفء حياة للديدان ، وحياة للنمال ، وحياة للذباب ، وفى حياة هذه المخلوقات جور على أرزاق الناس

البرد هو الذى يعلمنا كيف نستعد لمقاومة التقلبات الجوية ، وهى تقلبات لا ينتصر عليها غير من يتدثرون بالأثواب والقلوب

وآية « يا أيها المدثر » تدل على أن الرسول تفتح قلبه للوحى فى ليلة شاتية ، وسنجد دليلاً على صحة هذا الافتراض ، إن كان يحتاج إلى دليل

وهل تهجع الأرض فى الشتاء كما يتصور الناس ؟

إن الحرارة تتحول إلى جوف الأرض فتعدها إعداداً صالحاً للانبات والإيراق والإزهار والإثمار ، وسبحان من لو شاء لكشف الحجاب عن حكمته العالية فى مداولة الأيام بين الصيف والشتاء .

وهل تهجع شجيرات الورد كما تصورتها وأنا أجول في حديقة الورد ؟

إنها تستجم ، ولعلها تدير فى نفسها الصور المنتظرة لربيع المقبل ، كما يستجم الفنان ليدير فى نفسه الصور المنتظرة لربيع الفكر والخيال

لا نوم ولا موت فى هذا الوجود ، لأن الله خلقه لليقظة والخلود .

لو زحزح الحجاب لحظة واحدة لرأينا جميع الموجودات فى اقتتال أو اعتناق ، وإن ظهر للعيون أنها غافيات

لم يرحم الشتاء غير طائفة قليلة من الأزاهير ، فرأينا ما تصنع النحل ، وتذكرنا أن النحل تمنح وهى تنهب ، لأنها تشعر الزهر بمعانى الحنان ، والحنان غذاء الجمال

تدخل النحلة إلى جوف الزهرة فتمتص ما فيها من رحيق ، ثم تنتقل بسرعة إلى زهرة ثانية وثالثة ورابعة ، ولا تكف إلا حين تغلبها النشوة فتميل إلى القرار والاطمئنان

والنحل تترك الخلايا من وقت إلى وقت ، وتسافر فى طلب الرزق ، ثم ترجع بدون أن تضل الطريق ، فسبحان من أوحى إلى تلك الخلائق اللطيفة ما أوحى ، سبحانه سبحانه ، وإن كان غنياً عن الثناء

التمثال

دخلنا الروضة الناعمة بسبب البرد ، فراعنا التمثال ، وأى تمثال ؟

ذلك وثن أقيم لفتاة عارية تتلقى شآبيب المطر ، أو أكواب الشمس ، فى لحظة صفاء

تلك فتاة قتلت صباها وهى تخضع لصانعى التماثيل ، وإلا فأين هى اليوم ؟

بعشرين جنيهاً أو بثلاثين سمحت الفتاة المسكينة بالجلوس على تلك الصورة أسابيع وأسابيع ، ليصاغ منها ذلك التمثال

قلت للجنان : افتح صنابير النوافير لأرى كيف تتغلغل هذه الشقراء

لقد كادت الفتاة تستيقظ لتتعلق بعنق ، فما تحدث عنها شاعر قبل أن تراني